اختيار شريكة الحياة
(أو مديح لمكسيموس)

لقد حزنت بسبب تغيبي عن اجتماعكم السابق، ولكن بما أنكم تمتعتم بمائدة غنية، فقد سبّب هذا لي فرحًا عظيمًا، لأن شريكي في هذه الخدمة قد قام بنفس عملي، وألقى البذار بكلام دسم وخدم باهتمام كبير في حقل نفوسكم. فقد رأيتم اللغة النقية وسمعتم الكلمة الرصينة وتمتعتم بماء ينبع إلى حياة أبدية، رأيتم ينبوع تتحرك منه أنهار من ذهب. ويُقال إن هناك نهر يحمل نخالة ذهب لكل من يسكنون حوله من البشر، لا لأن طبيعة الماء تنتج ذهبًا، لكن لأن منابع النهر تخترق الجبال التي تحمل في باطنها هذ المعدن (الذهب)، ومن بين هذه الجبال، يندفع النهر إلى أسفل، فيسحب معه الطين المُحمل بالذهب، فيصير كنزًا لكل الساكنين حوله، فيفيض عليهم بالغنى. لقد تمثل هذا المعلم (مكسيموس)، بذلك النهر، في الاجتماع السابق، إذ أنه نهل من الكتب المقدسة كما من جبل ملئ بالذهب، حاملاً إلى نفوسكم المعاني، التي هي أثمن من الذهب. وأنا أعرف طبعًا أن ما تحتاجونه اليوم هو ما أحتاجه أنا أيضًا، لأن من يتمتع عادة بمائدة فقيرة، إذا حدث في إحدى المرات أن جلس على مائدة غنية، ثم عاد بعد ذلك مرة أخرى إلى مائدته الفقيرة، حينئذٍ سيدرك جيدًا، النقص الشديد في محتويات هذه المائدة الفقيرة.

لكن هذا السبب لن يجعلني أبدأ العظة اليوم بفتور، لأنكم تعرفون، وقد تعلمتم من الرسول بولس، أن تشبعوا، وأن تجوعوا، وأن يفضل عنكم، وأن تُحرموا، وأن تُعجبوا بالأغنياء، وألاّ تزدروا بالفقراء. وكما أن أولئك الذين

يحبون النبيذ، يقبلون النبيذ الجيد، إلاّ أنهم لا يحتقرون النبيذ الأقل جودة. هكذا أنتم أيضًا، فإذ تشتهون سماع الكلمة الإلهية، فأنتم تقبلون المعلمين الأكثر حكمة، لكنكم تُظهرون أيضًا شوقًا ورغبة لسماع المعلمين الأقل حكمة. فالكسالي والفاسدون يشمئزون حتى أمام المائدة الغنية، أما من لديهم شهية ورغبة ويقظة روحية ــ فلأنهم جياع وعطاش إلى البر، فهم يركضون باشتياق كبير حتى نحو المائدة الفقيرة أيضًا. وما أقوله ليس تملقًا، فهذا ما أظهرتموه بأكثر مما ينبغي، في العظة السابقة التي قدمتها لكم.

ففي تلك العظة كلمتكم كثيرًا عن الزواج، وأظهرت أنه إذا طلق الرجل امرأته، وأخذ امرأة مُطلقة، بينما زوجها السابق على قيد الحياة، فهذا يُعد زنى حقيقي. وقد قرأت لكم وصية المسيح التي تقول: "*من طلق امرأته إلاّ لعلة الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج بمطلقة فإنه يزنى*" (مت٥:٣٢). وقد رأيت كثيرين يُنكسون رؤوسهم إلى أسفل، ويلطمون وجوههم، ولا يستطيعون بعد أن يرفعوا رؤوسهم. ثم بعد ذلك يرفعون عيونهم إلى السماء. فقلت، لتكن أنت مباركًا يا إلهي لأنني لا أكلم آذانًا صماء، لكن كل ما أقوله يحدث تأثيرًا قويًا في أذهان السامعين. طبعًا من الأفضل ألاّ يخطئ أحد مُطلقًا. لكن ينبغي على الخاطئ أن يحزن حزنًا عميقًا ويدين نفسه، ويقبل تأنيب ضميره ويحاسب نفسه بتدقيق، وهذا ليس بأمر هين من جهة خلاصه لأن هذه الإدانة للذات تقود إلى التبرير، وتؤدى بنا بالتأكيد في الاتجاه الذي يجعلنا لا نخطئ. ولهذا فإن القديس بولس بعدما حزن من أجل هؤلاء الذين سقطوا في الخطية، فرح، لا لأنه أحزنهم، لكن لأن حزنهم قادهم إلى التوبة، فقد فرح قائلاً: "*الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم بل*

لأنكم حزنتم للتوبة. لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكي لا تتخسروا منا في شئ. لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله يُنشئ توبة لخلاص بلا ندامة" (٢كو٧:٩ــ١٠). وسواء كنتم تحزنون لأجل خطاياكم، أو لأجل خطايا الآخرين، فإنكم تستحقون كل مديح. لأنه عندما يحزن أحد لأجل خطايا الآخرين، فإنه يُظهر بهذا، أن له قلب رقيق مثل الرسول بولس، هذا الإنسان القديس الذي يقول: " *من يضعف وأنا لا أضعف من يعثر وأنا لا ألتهب*" (٢كو١١:٢٩)، فلنتشبه به. فهو من جهة الأمور الخاصة به لم يتكلم، والعقوبة التي انتظرته، من جهة كل ما تجرأ وصنعه (أي اضطهاده للكنيسة) حتى وقت أي تحوله للمسيح، قد مُحيت، ومن جهة الأمور المستقبلة، فإن هذا الحزن ولّد عنده يقيناً شديدًا. ولهذا أنا أراكم تُنكسون رؤوسكم إلى أسفل، وتتنهدون، وتلطمون وجوهكم، ولذلك فرحت جدًا وصرت أفكر في الثمر الذي سيأتي من وراء هذا الحزن.

ولهذا فإنني سأحدثكم اليوم فى موضوع الزواج ــ حتى أن كل من يرغب فى التقدم للزواج عليه أن يبدى اهتماماً به فى أوانه. فعندما يتعلق الأمر بشراء عبيد أو بيوت، فإننا نفحص بعناية أولئك الذين يبيعون وأيضًا نفحص العبيد أنفسهم الذين ننوى شراءهم وحالتهم النفسية والجسدية، وإذا تعلق الأمر بأحد المبانى فإننا نفحص حالة المبنى ومواصفاته بكل تدقيق.

فبالأحرى كثيرًا جدًا إذا تعلق الأمر باختيار زوجة، فإنه يجب علينا أن نبدى مثل هذا الاهتمام بكل عناية وتدقيق. لأنه إن كان البيت معيب يمكن الرجوع فيه، والخادم إذا ثبت أنه غير نافع يمكن رده لبائعه. لكن إذا تعلق الأمر باختيار زوجة، فإنك لن تستطيع أن تردها إلى أهلها مهما حدث. فقط إذا وقعت فى خطية الزنا، تستطيع أن تنفصل عنها بحسب وصية الله. وإذا

كنت تنوى اختيار زوجة لك، لا تقرأ فقط شرائع هذا العالم، لكن عليك قبل أن تلجأ إلى هذه الشرائع أن تطّلع على تعاليم الكنيسة. لأنك ستدان بهذه التعاليم فى يوم الدينونة وليس بقوانين هذا العالم. إن تجاهل قوانين هذا العالم عادة ما يسبب ضرر مادى، أما تجاهل تعاليم الكنيسة فإنه يؤدي لعقوبات شديدة.

أهمية التدقيق في اختيار الزوجة:

وإذا أراد الإنسان إختيار زوجة له، نجده يُسرع نحو مُشرّعي هذا العالم ويفحص بكل تدقيق الأمور المتعلقة بالزواج، ويسألهم عن النتائج التى يمكن أن تحدث في حالة موت الزوجة التي لها أولاد، أو ماتت ولم تنجب؟ وكيف يكون الأمر لو كان والدها مازال على قيد الحياة؟ وما هو حجم الميراث الذى يؤول إلى أخوتها وحجم الميراث الذى يؤول الى الزوج، ومتى يكون له كل الحق فى الميراث ومتى يخسر كل شئ؟ وأمور أخرى كثيرة يطلب معرفتها من مُشَرِّعى هذا العالم حتى يتأكد أن كل ممتلكات الزوجة تؤول إليه، ولا يذهب منها حتى ولو جزء صغير إلى أحد أقاربها.

صفات يجب توفرها عند الاختيار:

كيف لا يكون إذن، أمرًا غير منطقى أنه إذا تعلق الأمر بالأموال التى ستنتهى، أن نبدى كل هذا الاهتمام، أما بالنسبة للنفس، التى هى أثمن من كل شئ لا نوليها أى اهتمام ولو بجملة واحدة؟، بينما يجب علينا وقبل كل شئ أن نعرف كل ما يتعلق بالنفس من كل جوانبها. لذلك فإنى أنصح كل من يرغب فى الزواج أن يقرأ ما كتبه القديس بولس، فيما يتعلق بوصايا الزواج الموجودة فى رسائله. لكى يتعلم منها ماذا يجب عليه أن يفعل قبل

أن يُقدْم على الزواج. فهل تستطيع أن تَقبل زوجة سيئة النية، خبيثة، مدمنة للخمر، غير متعقلة ولسانها غير مُنضبط؟ فإن كان غير مسموح أن تتخلص من الزوجة حتى ولو كانت تحمل كل هذه النقائص، إلاّ فى حالة الزنا فقط كما تأمر الوصية، فعليك أن تفحص الأمر بالتدقيق وتبحث عن كل الطرق التى **تضمن لك أن تختار زوجة مؤمنة لها فكر مستقيم وعلى جانب من التواضع.** فلهذا عليك أن تختار بين أمرين، وهو أمر لا مفر منه، إما أن تأخذ لك زوجة سيئة وتحتملها، وإما أن ترفض احتمالها، وتتخلص منها فتقع فى خطية الزنا. فالرب يقول: " ***وأما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة يجعلها تزنى***" (مت ٥:٣٢).

فلو أنك فكرت فى هذه الأمور جيدًا وأدركت أهمية هذه الوصايا، تستطيع أن تختار زوجة مناسبة وموافقة لحياتك.

المحبة للزوجة:

فلو عثرنا على الزوجة المناسبة، فلن ننفصل عنها أبداً وستكون محبوبة جداً لدينا. والرسول بولس يقول: " ***أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم ذاته لأجلها***" (أف٥:٢٥). فهو لم يتوقف عند عبارة أحبوا نساءكم، بل أعطى معياراً للمحبة وهو كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم ذاته لأجلها.

إذن، لو احتاج الأمر أن تموت من أجل زوجتك لا تتردد.

لأن السيد الرب قد أحب عبدته حتى أنه قدم نفسه لأجلها، فبالأولى جداً يجب أن تحب من هى شريكتك فى العبودية. لكن ربما جمال العروس وفضيلة نفسها هي التي جذبت انتباه العريس. لا نستطيع أن نقول هذا.

لأنها كانت قبيحة ودنسه، لأن الرسول بولس يقول: " ***وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة***" (أف٥:٢٦).

تمثل بالمسيح في معاملة زوجتك:

وطالما قدسها، أظهر أنها كانت دنسة وملوثة من قبل. هذا بالطبع لم يكن مصادفة، بل كانت نجسة بجملتها. ومع هذا لم يأنف من قبحها ولم يتقزز، وأعاد تشكيلها وأصلحها وغفر لها خطاياها. وأنت أيضاً يجب عليك أن تسير فى خطى سيدك. فإذا أخطأت الزوجة من نحوك، فعليك أن تغفر لها وتسامحها عن هذه الخطايا. ولو أنك تزوجت وكانت زوجتك سيئة، أصلحها برقتك ووداعتك، كما أحب المسيح الكنيسة. لأنه لم يمسح عنها فقط دنسها، بل أعاد لها أيضاً شبابها، وحررها من الإنسان العتيق الذى شكّلته الخطية. لذلك يقول الرسول بولس ***لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيده لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب***" (أف٥:٢٧). لأنه لم يجعلها فقط جميلة، بل جديدة، لا بحسب الطبيعة الجسدية، بل بحسب حرية الاختيار.

ليس هذا فقط ما يستحق الإعجاب، أنه أخذها قبيحة، بذيئة لكنه أسلم ذاته للموت، وأعاد صياغتها وصار لها جمال لا يعبر عنه.

وعلى الرغم من كل هذا، فمرات كثيرة يرى النفس تتسخ وتتلوث، ومع كل هذا لم يتركها، ولم ينفصل عنها، لكنه ظل بالقرب منها مداويًا لأوجاعها ومصححاً لمسيرتها.

لأن كثيرين أخطأوا بعد أن آمنوا. ومع هذا لم يتأفف منهم.

على سبيل المثال عندما وقع عضو من كنيسة كورنثوس فى خطية الزنا لم يُقطع، ولكنه أُصلِحَ وعاد إلى وضعه الطبيعى. كل كنيسة الغلاطيين

تقسّت ووقعت فى التهود. حتى هذه لم يعزلها، لكنه شفاها بواسطة بولس، وأحضرها مرة أخرى لعلاقتها السابقة معه.

فكما أنه عند ظهور مرض ما فى أحد أعضاء الجسد، فنحن لا نلجأ لبتر هذا العضو، بل نقاوم المرض. هكذا لابد أن نعامل الزوجة.

فلو بدا عليها أى خطأ، لا تُطلق، لكن يُقوّم هذا الخطأ.

مع الوضع فى الاعتبار أن تقّويم الزوجة أمر ممكن، بينما العضو الجسدى عندما يفسد تماماً، لا نستطيع علاجه. ومع هذا، وعلى الرغم من التأكد من أن هذا العضو غير قابل للشفاء، فإننا نبقى عليه ولا نلجأ إلى قطعه. فهناك كثيرون مبتورى الرجل أو اليد أو ذوى عيون كفيفة، فلا العين يخلعها ولا الرجل يقطعها ولا أيديهم يلقونها عنهم. على الرغم من أنهم متأكدون أنه لا نفع من هذه الأعضاء، إلاّ أنهم مستمرون فى معاملتها برفق بالنسبة لسائر الأعضاء.

لا طلاق:

كيف لا يكون أمرًا غير منطقي إذن ــ طالما لا يمكن إعادة حيوية العضو المريض والذى انعدمت منه كل منفعة ــ أن نجد مثل هذه الرعاية، وكيف لا يحدث الشفاء عندما يكون هناك رجاء مجيد ويوجد الأمل فى التغيير؟ لأن الاختيارات غير المناسبة يمكن تصحيحها وتقويمها. ولو قلت لى أن حالتها لا يمكن علاجها، حيث عوملت برفق وعناية، ومع هذا لم تُغير من أسلوب حياتها، أجيبك بقولى إنه على الرغم من كل هذا لا يجب أن تُطلق، فكما أشرنا أن العضو غير القابل للشفاء لا يُقطع، والزوجة أيضًا عضو من أعضائك كقول الكتاب: "***ويكونان جسداً واحداً***" (تك٢:٢٤). فحتى ولو كانت مستعصية العلاج، يكفيك المجازاة العظيمة لصبرك

واحتمالك الكثير. لأن مخافة الله تجعلنا نصبر ونحتمل بكل وداعة سوء حالة الزوجة. فهى كعضو من أعضائنا يجب أن نحبها، الأمر الذى علّم به الرسول بولس قائلاً: " ***كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه***" (أف٥:٢٨ــ٣٠). ويقول: كما أن حواء أتت من جنب آدم هكذا نحن من جنب المسيح ــ وهذا معنى الكلام من لحمه ومن عظامه. إن خروج حواء من جنب آدم هذا أمر نعرفه جميعًا وأكده الكتاب بوضوح، بأن أوقع الله ثبات على آدم وأخذ واحد من أضلاعه وبنى المرأة.

الكنيسة تكونت من جنب المسيح:

والكنيسة أيضًا تكونت من جنب المسيح، هذا الأمر يعرضه لنا الكتاب وذلك عندما رُفع المسيح على الصليب وسُمر ومات " ***لكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربه وللوقت خرج دم وماء***" (يو١٩:٣٤) من هذا الدم والماء تكونت الكنيسة. ويشهد هو بذلك قائلاً: " ***أجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله***" (يو٣:٥) الدم يقول عنه (الروح). حيث تولد بماء المعمودية وتتغذى بالدم (التناول).

أرأيت كيف أننا من لحمه ومن عظامه. فهل من هذا الدم والماء صار لنا الميلاد والغذاء؟ فبينما نام آدم تكونت المرأة، هكذا عندما مات المسيح تكونت الكنيسة من جنبه.

ليس لهذا فقط يجب أن نحب زوجاتنا، أى ليس لأنها عضو من أعضائنا ومنا كانت بداية خلقتها، بل لأجل الوصية التى وضعها الله نفسه " ***لذلك***

يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً " (تك٢: ٢٤).

ومن أجل هذا فإن الرسول بولس قد قرأ علينا هذه الوصية، حتى أنه فى كل الأحوال يدفعنا دفعاً نحو محبة الزوجة. وهذه حكمة رسولية.

فهو لا ينحصر فى الوصايا الإلهية فقط ولا فى الشرائع الإنسانية فقط، لكنه يأخذ من الاثنين لكى يحملنا على محبة الزوجة.

لهذا فهو يبدأ مما حققه المسيح ويعظ قائلاً: "***أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة***"، وبعد ذلك يعود مرة أخرى للمسيح قائلاً: "***نحن أعضاء جسده لحم من لحمه وعظم من عظامه***" ثم يكمل إنسانيًا "***من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته***" وحين يقرأ علينا هذه الوصية يقول: "**هذا السر عظيم**". كيف يكون عظيما؟

هذا السر عظيم:

فعندما تقضى الزوجة كل الوقت فى حجرتها وترفض رؤية زوجها، فكيف تقبله كجسدها؟ وأيضًا الزوج الذى لا يرى زوجته ولا يحادثها ولا يأنس برفقتها، كيف يقبلها كجسده؟ يجب على الزوجة أن تتجاوز الكل، الأصدقاء والأقارب والوالدين أنفسهم.

أما فيما يخص الوالدين، فقد يقبلون لابنتهم شخصًا لم يعرفوه من قبل ولم يرونه قط، لكنهم يفعلون هذا الأمر بفرح دون تفكير فى ضرر قد يحدث. وقد يعيش معها بعيداً عنهما، على الرغم من أنهما قد تعوّدا عليها، إلاّ أنهما لا يتذمران بل يقدمان الشكر لله ويتمنيان كل بركة لهذا الزواج. كل هذه الأمور قد فكر فيها الرسول بولس، حيث يترك الزوجان ذويهم ويرتبط الواحد بالآخر ويبدآن حياة جديدة تماماً. وهذا الأمر ليس أمراً إنسانيًا، بل هو نوع من المحبة قد زرعه الله فى كليهما. إن هؤلاء الذين

يقدمون (أي الوالدين) وهؤلاء الذين يأخذون (أى الأبناء) قد خلقهم الله ليفعلوا هذا الأمر (أى الزواج) بفرح، ولهذا فإنه يقول: " ***هذا السر عظيم***".

هذا ما حدث بالضبط فى حالة المسيح والكنيسة. ماذا حدث؟ فكما أن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته، هكذا فإن المسيح ترك عرش أبيه وأتى إلى العروس "**الكنيسة**". لم يدعونا إلى السماء، لكنه نزل هو إلى الأرض. وعندما نسمع ترك السماء، لا نظن أنه لم يعد في السماء ولكن ترك بمعنى التنازل. فبينما كان معنا كان مع أبيه أيضًا ولهذا قال إن هذا السر عظيم. عظيم أيضاً من الوجهة الإنسانية عندما نرى أن ما حدث فى حالة المسيح والكنيسة يحدث فى حالة الزواج، وهو أمر يثير الدهشة والإعجاب. ولهذا عندما قال أن هذا السر عظيم، أضاف لكننى أقول من نحو المسيح والكنيسة، حينئذٍ نستطيع أن ندرك كم هو عظيم سر الزيجة لأن النموذج الذى يتم على مثاله سر الزيجة هو عظيم.

لذلك لا تفكر فى هذا الأمر بسطحية وتختار لك زوجة لديها أموالاً كثيرة. لأنه يجب التفكير فى الزواج لا كتجارة بل كشركة حياة، لأننى أسمع من وقت لأخر أن فلان صار غنياً بزواجه ــ أى أخذ له زوجة غنية والآن هو يملك كل شئ.

ماذا تقول أيها الإنسان: أبمثل هذه الأساليب تحقق مكاسب؟ وهل هذا الحديث هو حديث رجولة؟

الأمر الوحيد الذى يجب أن تفكر فيه هو أن تختار لك زوجه قادرة على تدبير بيتها ورعايته حسناً. لقد أعطى الله للزوجة رعاية البيت والعناية به، وللرجل الأمور العامة، أى كل ما يختص بالمحاكم، البرلمان، الجيش والإدارة الحكومية. فالمرآة لا تستطيع أن ترمى حربة أو تقذف

نبالاً، لكنها يمكن أن تغزل بالآلة وتقوم بكل احتياجات بيتها، وهى لا تستطيع أن تقدم اقتراحًا فى البرلمان، لكنها تستطيع أن تبدى رأيها فى كل الأمور التى تخص بيتها، وهى فى هذا لها دراية أكثر بكثير من الزوج. لا تستطيع أن تدير حسنًا الأمور الخاصة بالدولة[1]، لكنها تستطيع حسنًا أن تربى أولادها، وهو عمل يُعد أفضل بكثير من كل المكاسب الأخرى. يمكنها مراقبة أعمال الخدم وتكاسلهم، وتهتم برعاية أسرتها، وتقديم كل وسائل الراحة لزوجها، وتريحه من كل هذه الأمور الخاصة بإدارة البيت، سواء كان غزل صوف، إعداد طعام، كى ملابس، ورعاية الأولاد، وكل الأمور الأخرى التى يعجز الرجل عن أن يباشرها، ولا هى بالأمر السهل عليه حتى وإن أراد أن يمارسها. هذا هو عمل الحكمة الإلهية ــ فالقادر على أن يفعل الأمور الهامه، يكون غير قادر على أن يقوم بالأمور الصغيرة حتى يكون للمرأة مكانة حقيقية ودور هام.

عمل الرجل وعمل المرأة:

فلو كان عمل الاثنين **(الرجل والمرأة)** يقوم به الرجل فقط وينجح فى إنجازه وحده، لتعرض الجنس النسائى للازدراء.

ومن ناحية أخرى لو أوكل العمل المهم والأكثر نفعاً للمرآة لجعلها هذا أن تنتفخ وتتعظم على رجلها. ولهذا فقد قسم العمل فيما بينهما.

وذلك حتى لا تنتقص قيمة جنس عن الآخر، ويبدو كأنه بلا قيمة، ولا أيضًا تُرك لأحدهما أن يقوم بالعمل وحده، حتى لا تحدث مشاحنات وطلب المساواة.

[1] لم يكن للمرأة فى ذلك العصر (القرن الرابع) نصيب فى المشاركة فى الحياة العامة.

ولكى يتحقق السلام اللائق بينهما، حدد الله لكل واحد نظامًا يحافظ عليه، ووزع بينهما الأعمال لكى تستمر مسيرة الحياة. فقد أعطى الأمور الهامة للرجل والأقل أهمية للمرأة حتى لا تتعالى على الرجل. الأمر الأساسى الذى نطلبه ونبحث عنه فى الزواج هو النفس الفاضلة والذهن النقى حتى يَعُمنا السلام ونقضى كل أوقاتنا فى هدوء ومحبة ووفاق دائم. **لأن من يختار امرأة غنية فقد أخذ سيدة ولم يأخذ زوجة.**

أما من يختار زوجة مكافئة له بل وأقل منه، فقد نال مساعدًا ومعينًا له وأقتنى لبيته كل أمر حسن. فإن الإحتياج الناتج عن الفقر يحثها على التفكير كيف تخدم زوجها بعناية وتتنازل عن أمور كثيرة. هكذا تنقضى كل مسببات ودوافع المشاجرة، والمشاحنة، والشتائم ويكون هذا سببًا للسلام والوفاق والمحبة والتوافق والوئام، ومن أجل هذا يجب ألا يتجه الهدف نحو المال، بل نسعى نحو الحياة المملوءة سلامًا ومحبة حتى نتمتع بحياة هادئه ومفرحة.

شُرِّع الزواج عونًا وعزاءً وميناءً:

الزواج شُرّع لا لكى يكون سببًا للمشاحنات والمشاجرات ولا لكى يتحدى الواحد الآخر، فتصير الحياة مستحيلة، لكنه شُرّع لكى يكون عونًا وملجأ وميناء وعزاء فى الأمور الصعبة التى تواجهنا فى الحياة ويكون لنا شركة حقيقية وحوار جميل مع زوجاتنا.

فكم من الأغنياء اقتنوا لهم زوجات غنيات وازدادت ثرواتهم، لكنهم فقدوا الفرح الحقيقى بمشاجرات ومشاحنات يومية. وكم من أناس فقراء اقتنوا لهم زوجات أكثر فقرًا، لكنهم تمتعوا بسلام وفرح حقيقى. وهكذا فإن الأموال لا تفيدنا فى شئ عندما نفشل فى أن نقتنى لنا نفساً مُحبة للصلاح.

لماذا نتكلم عن السلام والوفاق؟.. لأنه إن كان على الزوج التزام أمام أقارب الزوجة أن يرد كل ما أخذه فى حالة وفاتها، هكذا فإن الموت المفاجئ للزوجة يقضى على كل هدف للزوج، تمامًا مثل تاجر جشع لا يشبع من طلب المال فيُحمّل مركبه فوق طاقته مما يُعَرّضه للغرق فيخسر كل شئ.

التحذير من طلب المال:

كل هذه الأمور يجب أن نضعها فى اعتبارنا، ولا ننظر إلى كيفية الحصول على مزيد من الأموال، بل وعلينا أن نفكر كيف سنحيا حياة هادئة، نقية ومملوءة سلامًا. فإن المرأة العاقلة المتواضعة حتى وإن كانت فقيرة تستطيع أن تحوّل فقرها إلى مسيرة حياة أفضل من الغنى.

أما المرأة غير المتعقلة والتى تتشاجر حتى مع ذاتها، حتى وإن كانت تمتلك كنوزًا كثيرة، فسوف تبذرها وتنفقها بسرعة أشد من سرعة الرياح.

هدف الزواج:

من أجل هذا ينبغي عليك ألاّ تسعى نحو الغنى بل أطلب المرأة التى تدبر بيتها حسنًا. يجب أن نعرف ما هو هدف الزواج ولأى غرض شرع لحياتنا ولا تطلب شئ آخر غير ذلك.

إذن، ما هو هدف الزواج ولأى غرض منحنا الله إياه ؟

اسمع ماذا يقول الرسول بولس: " ***ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته***" (١كو٧: ٢) ولم يقل من أجل التخلص من المتاعب، ولكن لكى نتجنب الزنا ونطفئ الشهوة ونحيا بوداعة ونكون مرضيين أمام الله مكتفيين كل واحد بزوجته. وهذه هى عطية الزواج، هذا هو ثمره، وربحه. ولهذا

شرع الزواج ليساعدنا على الهدوء والوداعة. يحدث هذا لو وقع اختيارنا على زوجات قادرات على مِلْء حياتنا بالتقوى والوداعة والكرامة. لأن جمال الجسد عندما يكون غير مقترن بنفس فاضلة، سيستمر لمدة عشرين أو ثلاثين يوماً، لكنه سيتوقف بعد ذلك، بسبب ظهور المشاكل وتزايد المتاعب وستُمحى كل محبة من القلب.

جمال النفس والمحبة الحقيقية بين الزوجين:

لكن أولئك اللواتى يُشرقن من خلال جمال أنفسهن، ومع مرور الزمن واكتساب الخبرة، يُقدّمن محبة أكثر دفئاً لأزواجهن.

وعندما يحدث هذا ويرتبط الزوجان بتلك المحبة الحقيقية، ينمحى كل فكر شائن، ويبقى الزوجان أمناء الواحد نحو الآخر فى مناخ من المحبة والرقة والحنان، ويتمتعان برضا الله وحمايته. هكذا كان كل الرجال المشهورين، يتزوجون قديماً. هدفهم كان اقتناء النفس الفاضلة وليست الأموال الكثيرة. وسأذكركم على سبيل المثال بزواج مثل هذا. " ***وشاخ إبراهيم وتقدم فى الأيام. وبارك الرب إبراهيم فى كل شئ وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولى على كل ما كان له. ضع يدك تحت فخذى فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجه لأبنى من بنات الكنعانين الذين أنا ساكن بينهم بل إلى أرضى وإلى عشيرتى تذهب وتأخذ زوجه لأبنى أسحق***"(تك٢٤: ١ــ٤)

أرأيت بر الفضيلة والأهمية التى كانت للزواج وقتها؟ لأنه لم يذهب إلى مُسنات يعرفن أن يقولن أساطير، بل دعا خادمه الخاص وكلفه بهذا الأمر. وهو ما يُظهر تقوى إبراهيم، فهو بهذا الشكل أعد خادمه لكى يكون أداة مستحقة لتعهد عمل مثل هذا. وهو ولم يطلب زوجة غنية أو جميلة ولكن

زوجة فاضلة فى كل طرقها. ومن أجل هذا أرسله إلى رحلة بعيدة. لاحظ طريقة تفكير الخادم المتفقة مع تفكير سيده، لأنه لم يقل ما هذا الكلام؟ كل هذه الأمم القريبة منا وكل هؤلاء البنات من بيوت غنية، معروفين ومشهورين، وأنت ترسلنى إلى بلد بعيد وإلى أناسٍ مجهولين. مع مَن سأتكلم؟. من سيتعرف علىَّ؟. وماذا سيحدث لو أعدوا لى حيلة وخدعونى؟. لا شئ من كل هذا طرأ على باله، لكنه أظهر خضوعه ولم يُعارض سيده وأظهر حكمة ورؤية ثاقبة متفقًا مع سيده المتفرد فى قوله.

إذن من يكون هذا؟. وماذا سأل سيده؟. " **فقال له العبد ربما لا تشاء المرأة أن تتبعنى إلى هذه الأرض. هل أرجع بابنك إلى الأرض التى خرجت منها. فقال له إبراهيم احترز من أن ترجع بابنى إلى هناك. الرب إله السماء الذى أخذنى من بيت أبى ومن أرض ميلادى والذى كلمنى والذى أقسم لى قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابنى من هناك**"، أرأيت إيمان مثل هذا؟ لم يترجى أصدقاء أو أقارب ولا أى أحد أخر، لكن الله أعطاه وسيطًا ورفيقًا للطريق. وبعد هذا أراد أن يشجع خادمه فقال: " ***الرب إله السماء والأرض الذى أخذنى من بيت أبى***" ولم يشر إلى طول الرحلة وإلى الغربة، أى كيف تذهب لبلد غريب وتترك بلدنا، لكنه قال: " ***الذى أخذنى من بيت أبى***"، سنده الوحيد هو الله. ونحن مدينون له. والله هو الذى قال: " ***لك ولنسلك أعطى هذه الأرض***".

حتى وإن كنا غير مستحقين، سيكون لنا عونا بسبب وعده، وسيجعل كل الأمور سهلة أمامنا وسيحقق لنا كل ما نتمناه. فعندما وصل الخادم إلى المدينة التى قصدها ، لم يذهب لأحد من سكان المدينة ولم يتكلم مع الناس

ولم ينادى نساء، لكنه كان أميناً للوصية التى أخذها من سيده وتمسك بها ووقف وصلى قائلاً: "***أيها الرب إله سيدى إبراهيم يسر لى اليوم...***" ولم يقل أيها الرب إلهى، لكن إله سيدى إبراهيم. تكلم مُقدِّمًا سيده. لقد وصل وتمم كل الأمور الموكلة إليه. ولا تعتقد أنه يصنع هذا كدين عليه. اسمع ماذا يقول؟: "***وأصنع لطفاً إلى سيدى إبراهيم***".

لأننا لو استطعنا أن نحقق شيئًا، فهذا بسبب محبة الله للبشر، وليس بسبب التزام أو دين يمكن أن يؤدى بمعزل عن الله. ولذلك يقول: "***ها أنا واقف على عين الماء وبنات أهل المدينة خارجات ليستقين ماء فليكن أن الفتاة التى أقول لها اميلى جرتك لأشرب فتقول اشرب وأنا أسقى جمالك أيضًا هى التى عينتها لعبدك أسحق وبها أعلم أنك صنعت لطفاً الى سيدى***" (تك٢٤:١٣ــ١٤) أنظر إلى حكمة الخادم. أى علامة وضع. لم يقل إن رأيت إنسانة قادمة جالسة فوق حصان أو جالسة فى عربة وخلفها خدام محملين بالذهب، ولديها كثير من الخدم، جميلة وجسدها ملئ بالشباب والحيوية، لكن ماذا قال؟. فليكن أن الفتاة التى أقول لها اميلى جرتك لأشرب فتقول اشرب وأنا أسقي جمالك أيضًا، هى التي عينتها لعبدك اسحق. ماذا تصنع أيها الإنسان؟ أتطلب امرأة فقيرة لإبن سيدك، فتاة تحمل جرة ويمكن أن تتحدث معك؟ نعم. لأنه لم يرسلنى لأبحث عن أموال كثيرة ولا عن جنس معروف، ولكن عن نفس تحيا بالفضيلة. ويوجد كثيرات ممن يحملن جرارًا ويعشن في الفضيلة، بينما هناك أخريات ممن يسكن فى بيوت معروفة، غير متعقلات ويحيون فى الرذيلة.

فضيلة الضيافة:

وكيف تبدو المرأة فاضلة؟.. يقول من العلامة التى وضعها. وما هى

علامة هذه الفضيلة؟.. هى علامة الضيافة. لأن الضيافة هى سمة عظيمة للإختيار، لقد طلب فتاة مضيافة، حتى تستطيع أن تقدم خدمة لكل محتاج لها. ولم يطلب هذا الأمر مصادفة. بل أراد أن يأخذ امرأة لها نفس طريقة تفكير سيده، وأن تكون معينة داخل بيت مفتوح للغرباء. لأنه من قِبل الضيافة ننال كل الخيرات. هكذا سلك سيده وقدم ذبائح ورُزق ابنًا ونسله صار كنجوم السماء بحسب وعد الله. وطالما أننا نقتنى لأنفسنا ولبيوتنا كل الخيرات من قِبل الضيافة، فقد طلب هذه العلامة على وجه التحديد.

وما يجب الالتفات إليه، ليس فقط موضوع طلب الماء، ولكن الفضيلة التي تزين نفسها. وهى لم تعط فقط ما طُلب منها، بل إنها قد أعطت أكثر مما طلب منها. وأنت أيضاً عندما تنوى على إختيار زوجة لك لا تلجأ للناس ولا لنساء يتاجرون بنكبات الآخرين، ويطلبون شيئاً واحداً فقط، كيف يُكافئون، لكن الجأ إلى الله. والله نفسه وعد " ***اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم***" (مت٦:٣٣).

ولا تقل كيف يمكن أن أرى الله؟ هذا قول نفس غير مؤمنة. لأن الله يستطيع أن يحقق لك كل ما تريد دون أن تطلب.

وهذا هو ما تحقق فى حالة هذا الخادم، لأنه لم يسمع صوت ولم ير رؤية. بل بينما هو واقف بجوار البئر، صلى وعلى الفور نجح فى مسعاه " ***لأنه حدث إذ كان لم يفرغ بعد من الكلام إذا رفقه التى ولدت لبتوئيل إبن ملكه امرأة ناحور أخى إبراهيم خارجة وجرتها على كتفها وكانت الفتاة حسنة المنظر جداً وعذراء لم يعرفها رجل فنزلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت***" (تك٢٤:١٥-١٧) لكى تدرك كم هى عظيمة طريقة التفكير هذه، وأن جمال النفس له أهمية فى الاختيار، لم يقل مصادفة مرتين أنها عذراء،

لأنه قال كانت عذراء ولم يعرفها رجل. لأن كثيرات من الفتيات يحفظن أجسادهن، بينما نفوسهن مليئة بالشرور، متزينات بأشياء كثيرة وعيون الشباب تلاحقهن، وهؤلاء الفتيات قد ينصبن شباكهن للإيقاع بالشباب. ويبين موسى النبى أن هذه المرأة كانت عذراء فى الجسد والنفس فيقول: "**عذراء لم يعرفها رجل**" على الرغم من أنه توجد أسباب عدة لكى تعرف رجلا ــ وهي جمال الجسد، ثم طبيعتها المضيافة الخدومة.

لأنها لو لم تخرج من بيت أبيها وداومت الاستمرار فى غرفتها كما تفعل بنات اليوم، ولم تخرج إلى السوق، لما كانت مستحقة لهذا المديح " **لم يعرفها رجل** ".

فعندما تراها وهى خارجة إلى السوق كل يوم وهى مضطرة أن تحمل الماء مرة ومرتين وأحيانًا مرات كثيرة، وبعد كل هذا لم تعرف رجلا ــ وقتها ستدرك كم كانت مستحقة للمديح.

فلو ترددت فتاة على السوق عدة مرات حتى ولو لم تكن جميلة وليس فيها ما يجذب الانتباه، رغم غناها، يحدث أن يكون فى هذا الخروج ما يفسد أخلاقها.

أما رفقه وهى تخرج كل يوم ليس فقط إلى السوق، ولكن أيضًا إلى البئر لتأخذ ماء، هناك حيث يجتمع كثيرون وكثيرات، فإنها بقيت عذراء النفس والجسد، فكيف لا تكون إذن مستحقة لكل تقدير واعجاب وبالأكثر جدًا أنها حفظت فكرها في نقاوة من اللواتي يجلسن فى مجمع النساء، احتفظت فى وسطهن بهذا النقاء.

كما قال الرسول بولس: " ***لكى تكون مقدسة جسدًا وروحًا***" (١كو٧:٣٤).

" ***فنزلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت فركض العبد للقائها وقال اسقينى قليل ماء من جرتك فقالت اشرب يا سيدى وأسرعت وأنزلت جرتها على يدها وسقته ولما فرغت من سقيه قالت أستقى لجمالك أيضاً حتى تفرغ من الشرب فأسرعت وأفرغت جرتها فى المسقاه وركضت أيضاً الى البئر لتستقى فأستقت لكل جماله*** " (تك٢٤: ١٦ــ ٢٠).

الضيافة والحكمة:

ضيافة هذه المرأة هى بالتأكيد ضيافة عظيمة لكنهاأيضًا تتمتع بحكمة عظيمة. يمكننا أن نعرف هذين الأمرين جيدًا (**الضيافة ــ الحكمة**)، مما قالته ومما فعلته. أرأيت كيف أن الحكمة لم تُفسد الضيافة والضيافة لم تُفسد الحكمة؟

لأنها لم تذهب هى أولاً نحو الخادم ولم تبدأ الحديث معه، وهذا يُعد نموذجًا للحكمة، لكن هو الذى ترجاها، حينئذً لم ترفض طلبه وهذا علامة واضحة للضيافة ومحبة الناس.

أما لو سعت هى للتحدث معه دون أن يبدأ هو بالحديث معها فسوف يدل هذا على عدم الحياء. وأيضًا لو أن رجاء الخادم وطلبه قوبلا بالرفض لكان هذا علامة للفظاظة وقساوة القلب. لكن لم يحدث شئ من كل هذا. فهى لم ترفض الضيافة لأجل الحكمة، ولا لأجل الضيافة أضرت بالحكمة، لكنها قدمت كل هذا (**الضيافة والحكمة**) فى صورتها الكاملة.

فالضيافة الكاملة كانت علامة واضحة، فقد أعطت كل ما تملكه، حتى وإن كان ما قدمته هو ماء. فقد كان هذا ما تملكه وقتها. فمن يقدم الضيافة لا يعطى من غنى، لكن يُقدم مما يملك. وهكذا فإن من قدم كأس ماء بارد مدحه الله وأيضاً المرأة التى قدمت الفلسين قدمت أكثر من الجميع لأنها

قدمت كل ما تملك. ورفقة قدمت كل ما تملك إذ لم يكن لديها شئ آخر تقدمه.

ولم يرد تعبير أسرعت ــ وركضت مصادفة، فهى إشارة لسلامة النية التى بها تصرفت لا لأنه أجبرها ولا هى بدون ارادة صنعت هذا ولا هى مثقلة أو متضايقة. فمرات كثيرة يحدث أن يعبر إنسان حاملاً مشعلاً ونطلب منه أن ينتظر قليلاً لنستضئ وشخص آخر يحمل ماء ونطلب منه قليل لنشرب فلا هذا يستجيب ولا ذاك.

بينما رفقه لم تُنزل جرتها فقط ولكن سقته وسقت كل جماله، محتملة كل هذا الجهد وهذا التعب الجسدى وهى تقدم ضيافتها بكل ارتياح وحسن نية. وهى تفعل هذا مع إنسان لا تعرفه ولم تره ولو مرة واحدة.

كما أن إبراهيم حماها لم يسأل أولئك الذين عبروا ببيته من أنتم ومن أين أنتم وإلى أين تذهبون، هكذا أيضًا فعلت هذه المرأة.

فهى لم تسأله من أنت ومن أين أتيت ولأى سبب أتيت إلى هنا؟ لكنها قدمت ضيافة كاملة وربحت هذه الفضيلة. فكما أن هؤلاء الذين يتاجرون فى أحجار كريمة، ويهدفون إلى الربح من المشترين، لا يفحصون من هم ومن أين أتوا، هكذا فعلت هذه المرأة، فقد ربحت ثمر هذه الضيافة. عرفت أن الغريب كان خجولاً ولهذا كانت تحتاج للياقة كبيرة وحكمة بدون فضول.

فقد فعلت كما فعل حماها الذى اهتم بالعابرين وربح الكثير، ولهذا فقد أستضاف ملائكة فى وقت ما. لكن لو أنه جلس ليستطلع أمرهم لم يكن له أن يحصل على هذه المكافأة التى انتظرته. ولهذا فنحن نُعجب به لا لأنه استضاف ملائكة، ولكن لأنه استضافهم دون أن يعرف شيئًا عنهم. وهذا ما

يستحق كل الإعجاب أنه اعتقد أنهم مسافرون ومع ذلك صنع معهم كل هذا المعروف. وهكذا أيضًا كانت هذه المرأة، لقد كانت رائعة فى ضيافتها. لم تكن تعرف من يكون سيده، لكنها اعتقدت أنه غريب وعابر سبيل.

ولهذا فإن عظمة هذه المرأة تظهر من خلال ضيافتها بطيب خاطر وبحكمة عظيمة لهذا الغريب الذى لم تعرفه من قبل، لأنها فعلت كل هذا لا بعدم حياء ولا هى مجبره على ذلك ولا متضايقة، لكنها تصرفت بكل عناية وحكمة. هذا هو ما أعلنه موسى بالضبط " ***والرجل يتفرس فيها صامتاً ليعلم أأنجح الرب طريقه أم لا***" (تك٢٤:٢١) وما معنى تفرس فيها صامتًا؟

إنه لاحظ الملبس ــ طريقة المشى ــ النظرة ــ الكلام، كل هذه الأمور قد فحصها بعناية لكى يستطيع أن يفهم قيمة هذه النفس.

ولم يكتفى بهذا، لكنه أضاف اختبارًا آخر. فعندما أعطته ليشرب لم يتوقف عند هذا الحد ولكنه سألها " ***بنت من أنت أخبرينى. هل فى بيت أبيك مكان لنبيت***" ماذا فعلت إذن؟ بوداعة ونقاوة تَكلمت عن أبيها ولم تغضب قائلة من أنت وماذا تريد أن تعرف عن بيتى ــ لكن ماذا قالت؟ " ***أنا بنت بتوئيل إبن ملكه الذى ولدته لناحور وقالت له عندنا تبن وعلف كثير ومكان لتبيتوا أيضًا***".

وكما فى موقف الماء الذى طلبه ليشرب أعطته أكثر مما طلب لأنها سقته وسقت جماله أيضًا، هكذا أيضاً فى هذا الموقف، فالخادم طلب مكانًا للمبيت ، لكنها وعدت بعلف وتبن للجمال وأمور أخرى كثيرة لكى تثمر هذه الضيافة مجازاة عظيمة.

كل هذه الأمور يجب ألا نسمعها بشكل عابر وسطحى، بل أن نضعها

أمامنا ونقارن أنفسنا معها لكى نعرف ما هى فضيلة هذه المرأة. لأنه يحدث مرات كثيرة أن نستضيف أصدقاء أو معارف لنا وعندما يمكثون عندنا يوم أو يومين نتذمر ونتضايق. أما رفقه فبكل الود قادت العبد إلى بيتها وهو غريب وغير معروف لديها، وليس هذا فقط، بل أنها وعدت برعاية جماله.

حكمة الخادم:

ولنلاحظ حكمة تفكير الخادم الذى بمجرد دخوله إلى البيت ووصوله ليأكل قال: لا أكل حتى أتكلم وبماذا كلمهم عندما أعطوه الإذن؟ هل قال لهم أن سيدى له شهرة واسعة ولقب عظيم وأنه مُكّرم من الجميع وله وضع كبير بين أبناء وطنه؟ لم يقل شئ من كل هذا، على الرغم من أنه لو أراد أن يقول مثل هذا الكلام لكان هذا سهلاً عليه. لكنه ترك كل هذه الأمور البشرية جانباً وتزين بالموقف السمائى قائلاً: أنا عبد إبراهيم. والرب قد بارك مولاى جداً فصار عظيماً وأعطاه غنمًا وبقرًا وفضة وذهبًا وعبيدًا وإماءً وجمالاً وحميرًا، وهو قد ذكر الغِنَى لا لكى يُظهر أنه متيسر ولكن ليُظهر أنه مُحب لله. فقد أراد بهذا أن يمدحه لأن كل ما عنده هو بسبب رضا الله عليه. ثم تكلم بعد ذلك من جهة " العريس" فقال: "***وولدت سارة امرأة سيدى ابنًا لسيدى بعدما شاخت***".

وطريقة الميلاد هنا، هى أيضًا لها معنى. لكى يظهر أن الميلاد تم بسبب عناية الله بإبراهيم وأنه لم يتم كأمر طبيعى.

المحبة الإلهية قبل كل شئ:

إذن فأنت أيضًا سواء كنت عروس أم عريس يجب أن تبحث عن محبة

الله ورضا السماء قبل كل شئ. لأنه لو وُجِدتْ هذه المحبة الإلهية وهذا الرضا السمائى فكل الأمور الأخرى ستنمو وتزداد، أما إذا لم توجد تلك المحبة وهذا الرضا السمائى فلن يخرج الإنسان بأي ربح، حتى وإن توافرت وسائل الراحة فى هذه الحياة. ولكى لا يسألوا لأى سبب لم يأخذ زوجة من أبناء وطنه، أجاب لقد أقسم لى قائلاً: "***واستحلفني سيدى قائلاً لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانين الذين أنا ساكن فى أرضهم بل إلى بيت أبى تذهب وإلى عشيرتى وتأخذ زوجه لابنى***" (تك٢٤: ٣٧).

خلاصة الأمر بعدما أوضح كيف أنه وقف إلى جوار البئر وكيف ترجى الفتاة ليشرب وكيف أنها أعطته أكثر مما طلب وكيف صار الله وسيطًا ــ أنهى حديثه قائلاً أن أهل الفتاه سمعوا كل هذه الأمور ولم يدخلهم أى شك ولم يتهاونوا كما لو كانت قلوبهم عند الله. وبعدها وعدوه أن يأخذ الفتاه وأجاب لابان وبتوئيل "***من الرب خرج الأمر لا نقدر أن نكلمك بشر أو خير هوذا رفقه قدامك خذها وأذهب. فلتكن زوجة لإبن سيدك كما تكلم الرب***". كيف لا يندهش الإنسان إذن؟..

لأن عوائق كثيرة قد أُزيلت فى لحظات قليلة.

فقد كان غريبًا وغير معروف ومسافة الطريق كانت بعيدة جدًا. وأيضًا لا "العريس" ولا "أبوه" ولا أى أحد من الأقارب كان معروفًا.

أمر واحد فقط من هذه الأمور كان كافيًا أن يمثل عائقًا لإتمام هذا الزواج. لكن لا شئ قد أعاق هذا الزواج وكل الأمور سارت على ما يرام، كما لو كان إنسانًا معروفًا لديهم أو جارًا لهم معه معاشرة. بكل هذه الثقة سلموه "العروس". والسبب أن الله كان فى الوسط.

بدون حضور الله سوف تفشل:

وهكذا فعندما نفعل شيئًا بدون حضور الله، فسوف نفشل ونُصاب بأحباطات كثيرة، حتى ولو كان هذا الشيء سهلاً وبسيطًا. لكن حضور الله واحتضانه لنا يجعل كل الأمور سهلة وبسيطة حتى وإن كانت غير ممهدة بالمرة.

كيف تَسلَّم "العروس" وكيف سار موكب الزواج؟ هل يا ترى بالبوق والموسيقى والرقص والطبل والناى؟ لم يحدث شئ من هذا، فقد أخذها ورحل وكان ملاك الله معه يقوده ويرافقه فى الطريق، حيث أن سيده كان قد تضرع إلى الله ليرسل ملاكه معه عندما خرج من البيت. أخذ "العروس" دون أن تسمع آذانها صوت ناى أو قيثارة أو شئ من هذا القبيل، لكن كانت كل الأمور مباركة من قبل الله. وذهبت لا بملابس مُذهبة بل كانت لابسة للحكمة والتقوى والضيافة وكل الفضائل الأخرى.

زينة الفضيلة:

لم تذهب فوق عربة مغلقة، لكن فوق جمل. وكانت مزينة بالفضيلة. فتربية الأمهات لأولئك العذارى، لم تكن مثل تربية بنات اليوم اللواتى اعتدن على حمامات مستمرة ودهون وروائح. مع أنه كان يجب أن تكون تربيتهن أكثر صلابة واحتمالاً.

الجمال الحقيقي والقوة والنقاوة:

ولهذا فإن حيوية أولئك العذارى قد أزهرت بقوة ونقاوة لأن جمالهن كان طبيعيًا ولم يكن مصطنعًا أو كاذبًا. ولهذا تمتعن بصحة قوية وحرية وكن مستحقات للمحبة من قِبل أزواجهن. فاحتمال المشقات لم يجعل أجسادهن فقط أكثر قوة، بل أنفسهن أيضاً صارت أكثر حكمة. وعندما وصلت رفقة

إلى البلدة بعد هذه الرحلة الطويلة، رفعت عينيها ورأت أسحق وقفزت إلى أسفل من على الجمل. أرأيت القوة؟ أرأيت الصحة الجيدة؟ لأنها قفزت إلى أسفل من على الجمل. وكانت قد سألت العبد "***من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائنا فقال العبد هو سيدى فأخذت البرقع وتغطت***" لاحظ أنها فى كل مكان تُظهر حكمة.

كيف كانت خجولة ووقورة؟ "***وأدخلها أسحق إلى خباء سارة أمه وأخذ رفقه فصارت له زوجة وأحبها فتعزى أسحق بعد موت أمه***". وهو لم يحوز هذه المحبة وهذه التعزية بالمصادفة بعد موت سارة أمه، لكن بسبب رقة رفقة ومحبتها، وهى أساسيات تربت عليها فى بيت أبيها. ومن منا لا يُقدّر ويُبجّل مثل هذه المرأة العاقلة جدًا والوقورة جدًا، المضيافة والمحبة للناس ذات القلب الطيب الرقيق.

اسمعوا الكلام لتحيوا به:

قد قلت لكم هذه الأمور كلها، لا لكى تسمعوها فقط، ولا لكى تسمعوها لتمدحوها، بل أيضًا لتدركوها وتحيوا بها.

كل مَن يريد الزواج، فليقتنِ هذه البصيرة التى أظهرها إبراهيم، لكى يأخذ امرأة غير مُتكلفة، دون النظر إلى أموال أو نسب معروف أو جمال جسدى أو أى شئ أخر، بل ينظر فقط إلى فضيلة نفسها. وكل رجل ينوى أن يتخذ له زوجه فلينظر إلى حكمتها ووقارها. أما الرقص، والضحكات، والكلام البذئ، فلنتجنبه. ترّجوا الله دومًا أن يصير وسيطًا فى كل ما تفعلوه. فلو سارت أمورنا هكذا، فلن يكون هناك طلاق أو شك فى زنا أو مشاحنات أو مشاجرات، بل سنتمتع بسلام عميق ووفاق عظيم. أما إذا تحدّت المرأة رجلها فلن يبقى شئ على استقامته فى البيت حتى وإن كانت

كل الأمور الأخرى مريحة وناعمة.

لكن عندما تكون الزوجة هادئة ومملوءة سلامًا سيكون كل شئ مريحًا حتى ولو كانت هناك أثقال ومتاعب يومية.

مثل أولئك الزوجات يستطعن أن يقدن أولادهن بسهولة إلى الفضيلة وعندما تكون الأم زوجة وقورة وعاقلة ومُزينة بكل فضيلة، فإنها تستطيع وبكل تأكيد أن تأسر زوجها بمحبتها. وعندما تأسره سيكون مستعدًا أن يصير لها معيناً فى مساعدة الأبناء، والله سيعتنى بهم ويرعاهم. أما الأب فعندما يساهم فى هذا العمل الجليل ويدرب أولاده على الفضيلة سينمو البيت كله، لأنه هكذا يجب أن يسلك القائمون على رعاية البيت. وهكذا فإن كل أحد يستطيع مع زوجته وأبنائه وخدامه أن يقضى كل حياته فى هدوء وسلام. ويا ليتنا كلنا نكون مستحقين لملكوت الله بالنعمة ومحبة البشر اللواتى لربنا يسوع المسيح الذى له المجد والقوة مع الآب والروح القدس المحيى الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.